الدار الآخرة
الشفاعة



الشيخ ندا أبو أحمد

الـــدَّارُ الآخِـــرَةُ

(٢٣)

الشَّفَاعَة

للشيخ / ندا أبو أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الدَّارُ الأَخِرَةَ
الشَّفَــاعَــة

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشــهد أن محمــداً عبــده ورسوله..........

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّــهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [سورة الأحزاب:٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله – تعالى – وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وشر الأمــور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

تعريف الشفاعة:

الشفاعة في اللغة: من "الشفع"، وهو الزوج – ضد الفرد، والشفاعة: اسم من شفع، يشفع، إذا جعل الشيء اثنين.

فالدَّاعي أو المتوسط صار زوجاً للسائل، بعد أن كان السائل فرداً، فَسُمِّيَ "شفيعاً"، لأنه شفع، يعني صار زوجاً له، يعني صار ثانياً معه.

ولتوضيح المعنى نقول: "إن مَن طلب شيئاً ثم ذهب إلى آخر ليطلب له نفس طلبه ليصير طلباً مزدوجاً، وهذا حال الناس يوم القيامة، حيث يذهبون يوم القيامة إلى مَن يشفع لهم، أي: يطلب نفس طلبهم؛ فيكون طلباً مزدوجاً، قال تعالى واصفاً حال أهل الزيغ والضلال عندما تنقطع بهم في الآخرة وسائل النجاة، فيقولون: {فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أنفسهم وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ } [الأعراف:٥٣]

أما الشفـــــاعة شرعاً: فهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

ومثال جلب المنفعة: شفـــاعة النبي ﷺ لأهل الجَنَّة بدخلوها،

ومثال دفع المـــضــــــرة: شفاعة النبي ﷺ لَمن استحق النار أن لا يدخلها.

(أفاده ابن عثيمين رحمه الله في "كتاب القول المفيد").

أقســام الشفــاعة: تنقسم الشفاعة إلى قسمين:

١- شفاعة في الدنيا. ٢- شفاعة في الآخرة.

أولاً: الشفاعة في الدنيا، وهي نوعان:-

النوع الأول: شفـــاعة حـــســـنـــة:

وهى التوسط لأصحاب الحاجات عند آخرين لقضاء حوائج الناس، وهذا النوع يكون فيما يقدر عليه المؤمن قدراً وشرعاً، ويقصد منها جلب منفعة أو دفع مضرة، ودليل هذه الشفاعة قوله تعالى:

{مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا} [النساء:٨٥]

ويدل عليها أيضاً ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء".

وهذه الشفاعة الحسنة فيها أجر؛ لأن فيها نفعاً للمسلمين في قضاء حوائجهم، وحصولهم على مطلوبهم الذي فيه نفع لهم.

والدعاء من صور الشفاعة للمؤمنين الأحياء والأموات

ففى حديث طويل أخرجه البزار وفيه أن الله ﷻ يقول لأهل الموقف في عرفة:

"أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولَمن شفعتم له..." الحديث.

- وفي "مسند الإمام أحمد" عن جرير بن عبد الله ﷺ قام يخطب يوم تُوُفِّي المغيرة ابن شعبة فقال: "عليكم باتقاء الله ﷻ والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: اشفعوا لأميركم، فإنه كان يحب العفو، وقال: أما بعد، فإني أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: أبايعك على الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: واشترط عليّ النصح لكل مسلم، فبايعته على هذا، ورب هذه المسجد إني لكم لناصح جميعاً، ثم استغفر ونزل".

ومن صور الشفاعة أيضاً في الدنيا:

ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

"ما من ميتٍ يُصلِّي عليه أُمَّةٌ من الناس يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه"

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله تعالى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من رجلٍ مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه"

النوع الثاني من الشفاعة في الدنيا: وهي الشفـــاعة السيئة:

وهي التوسُّط في أمور مُحرَّمة، كالشفاعة في أخذ حقوق الناس وإعطائها لغير مستحقيها، أو كالشفاعة في إسقاط الحدود إذا وجبت، كما فعل أسامة بن زيد في محاوله لإسقاط الحدِّ عن المرأة المخزومية *والحديث عند مسلم في حديث عائشة* رضي الله عنها *قالت:*

"كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة بن زيد، فكلَّموه، فكلَّم النبي ﷺ فيها، فقال له النبي ﷺ: يا أسامة، لا أراك تشفع في حدٍّ من حدود الله ﷻ، ثم قام النبي فقال: إنما أهلك مَن كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها؛ فقطع يد المخزومية"

ثانياً: الشفاعة في الآخرة، وهي الشفاعة عند الله تعالى.

وهذا النوع هو موضوع بحثنا، وبيت القصيد الذي عنيناه بالحديث عن الشفاعة.

- أصناف الناس بالنسبة للشفاعة في الآخرة:

انقسم النـــاس بالنسبة للشفاعة إلى ثلاثة أصناف:-

الصنف الأول: قوم أفرطوا وغلّوا في إثباتها

حتى أن هؤلاء القوم طلبوا الشفاعة من الأموات، ومن الأصنام، ومن الأنداد، ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله، وهؤلاء قال الله عنهم:

{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ } [يونس:١٨].

وقال تعالى حاكياً قولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر:٣]، وقال تعالى منكراً عليهم: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ{٤٣} قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً...}

[الزمر:٤٣-٤٤]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

"يقول الله تعالى ذاماً للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم في ذلك، وهي لا تملك شيئاً من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالاً من الحيوانات بكثير، ثم قال: "قل يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمَن ارتضى وأذن له، فمرجعها كلها إليه" اهـــ

- **الصنف الثاني: قوم فرَّطوا فأنكروها وغلّوا في نفيها**

وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة، الذين كذبوا ونفوا الشفاعة عموماً، وفي أهل الكبائر خصوصاً، اعتماداً على عقيدتهم الباطلة ومذهبهم الفاسد: أن صاحب الكبيرة مُخلَّد في النار؛ لذا فهم لا يعترفون أن النبي ﷺ يشفع في أقوام من أهل التوحيد دخلوا النار بذنوبهم، فيخرجون منها بشفاعة النبي ﷺ،

ولعل هؤلاء نظروا بعين واحدة إلى بعض الأدلة التي تنفي الشفاعة، كقوله تعالى: {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ } [البقرة:٤٨]، أو كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}

[البقرة:٢٥٤]

أو كقوله تعالى: {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }

[الأنعام:٥١]

أو كقوله تعالى: {وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ }[الأنعام:٧٠]

وينتصرون لمذهبهم الفاسد بأدلة عامة، كقوله تعالى: {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم:٣٩]

وكقوله تعالى: {مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} [النساء:١٢٣]

– فهؤلاء الذين خالفوا منهج أهل السُّنَّة والجماعة، ونظروا بعين واحدة إلى هذه الأدلة وغيرها التي تنفي الشفاعة، و لم ينظروا بالعين الأخرى إلى الشفاعة المقبولة بشروطها والتي تواترت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على إثباتها، وسيأتي إن شاء الله بيانها.

– وهؤلاء الذين ينكرون الشفاعة، لهم حظ ونصيب من كلام أنس ﷺ حيث قال:

"مَن كَذَّب بالشفاعة فليس له فيها نصيب" (أخرجه سعيد ابن منصور بسند صحيح)

(انظر فتح البارى:٤٢٦/١١)

- الصنف الثالث: وهم أهل السُّنَّة والجماعة

وهؤلاء هم الوسط بين الطرفين، والحسنة بين السيئتين، وهم الذين أثبتوا الشفاعة بشروطها من غير إفراط ولا تفريط.

شـــروط الشفـــاعة المقبـــولة

ليس كل شافع يُشفَّع، وليست كل شفاعة تقبل، بل الشفاعة المقبولة لابد أن يتوفر فيها شروط، وهي:-

الشرط الأول: إذن الله تعالى للشافع:

والأدلة على هذا الشرط كثيرة، منها:-

- قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ{٢٢} وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: ٢٢-٢٣]

- وقال تعالى: {مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس:٣]

- وقال تعالى: {... وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً {١٠٨} يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً} [طه:١٠٨-١٠٩]، وقال تعالى: {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} [الزمر:٤٤]

قال مجاهد في هذه الآية: "أي لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه".

- وقال تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [البقرة:٢٥٥].

قال الفخر الرازي رحمه الله في "التفسير الكبير" (٤/١١٧):

{مَن ذَا الَّذِي} استفهام معناه الإنكار والنفي، أي: لا يشفع عنده أحدٌ إلا بأمره. اهــ

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

"وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه ﷻ أنه لا يتجاسر أحدٌ على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة.اهــ

إشكال والرد عليه...

إذا قيل: إن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه سبحانه، فكيف يسمَّى دعاء الانسان لأخيه شفاعة وهو لم يستأذن من ربه؟

ويجيب عن هذا فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله كما في كتابه "القول المفيد" (١/٤٢٩) فقال: "إن الله أمر بأن يدعو الانسان لأخيه الميت وأمره بالدعاء، فالدعاء إذن وزيادة" اهــ.

الشرط الثاني؛ الرضا عن المشفوع له.

قال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}[الأنبياء:٢٨]، فالله لا يرضى الشفاعة في الكفار والمنافقين؛ لأنها شفاعة في غير أهلها، قال تعالى: {لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ}[الأنعام:٥١]

وقال تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ }[غافر:١٨] والمراد بالظالمين هنا: الكافرون، ويشهد لذلك مفتتح الآية، إذ هي في ذكر الكافرين، فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة من يشفع لهم؛ لأن الله غير راضٍ عنهم كما قال تعالى:{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}[المدثر:٤٨]

وهم الذين قالوا: {فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ{١٠٠} وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء:١٠٠-١٠١]

ويدل على هذا أيضاً ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"يلقى إبراهيم أباه آزر في يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يُبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرَّمت الجَنَّة على الكافرين، ثم يقال لإبراهيم: ما تحت قدميك؟ فينظر فاذا هو بذيخ(١) متلطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيُلقى في النار"

تنبيه:

يستثنى من هذا الشرط – وهو الرضا عن المشفوع فيه – نوعين من الشفاعة:

١– الشفاعة العظمى الخاصة بالنبي ﷺ في أهل المحشر، وتكون عامة لجميع الناس، وهي تكون لمن رضي الله عنهم، ومَن لم يرضَ عنهم.

٢– شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب تستثنى أيضاً من هذا الشرط، وهي خاصة بالنبي ﷺ حيث إن عمه في ضحضاح من نار، وعليه نعلان يغلي منهما دماغه، وأنه لأهون أهل النار عذاباً،

والنبي ﷺ قال: " ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار".

(١) الذيخ: هو ذكر الضباع، ولا يقال له: ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر. (فتح الباري)

الشرط الثالث: الرضا عن الشافع.

قال تعالى: { يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً} [طه:١٠٩]،

فالكافر بداية لا يشفع؛ لأن الله تعالى لا يرضى عنه، وقد يكون الشافع من أهل التوحيد، لكنه تلبَّس ببعض الذنوب والتي حالت بينه وبين أن يشفع لأحد يوم القيامة، ودليل ذلك:-

ما جاء في "صحيح مسلم" من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"لا يكون اللعَّانون شفعاء(١) ولا شهداء(٢) يوم القيامة"

قال ابن القيم رحمه الله: "ولا يأذن في الشفاعة إلا لَمن رضي قوله وعمله".

وتجتمع شروط الشفاعة الثلاثة في قوله تعالى:

{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم:٢٦]،

فقوله: {إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ}دليل على شرط إذن الله، وقوله: {وَيَرْضَى} فلم يذكر متعلق الفعل {يَرْضَى}، فهل يرضى عن الشافع أم عن المشفوع؟

والقاعدة تقول: "حذف المتعلق يفيد العموم" (قواعد التفسير لخالد السبت:٢/٥٩٧)

- ويدل على هذه الشروط الثلاثة كذلك ما جاء في "الصحيحين" من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "فأستأذنُ على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقول لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يُسمَع، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدّاً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنَّة، ثم أعود..." الحديث

ففي الحديث أن الله ﷻ أذن في الشفاعة، ورضي عن الشافع، فهو أحب خلقه إليه، ورضي عن المشفوع فيهم، وهم مَن خرجوا من النار بشفاعة الحبيب المختار ﷺ

(١) شفعاء: أي يتقدمون بين يدي الله تعالى، ويطلبون المغفرة لمن يشاءون.

(٢) شهداء: أي لا تسمع شهادتهم، وقيل: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم الخالية.

الحكمة من الشفـــــاعة

الشفاعة لها حِكَم قد تظهر للبعض وتخفى على الآخرين، وقد استظهر أهل الفضل بعض الحِكَم من الشفاعة ومنها:-

١- بيان فضل الله ورحمته على المشفع فيه.

- فقد أخرج ابن أبي عاصم عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ليُصِيبَنَّ أقواماً سَفع من النار عقوبة بذنوب أصابوها، ثم ليدخلهم الله الجَنَّة بفضل رحمته"

- وعند ابن أبي عاصم أيضاً أن النبي ﷺ قال: في قوله تعالى:

{فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ} [النساء:١٧٣] قال: {فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ} يدخلهم الجَنَّة، {وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ}، قال: الشفاعة لَمن وجبت له النار ممَّن صنع إليهم المعروف في الدنيا"

٢- كرامة يظهرها الله للشافع.

سواء كان هذا الشافع نبي، أو ملك من الملائكة، أو صديق، أو شهيد، أو مؤمن من المؤمنين... وهكذا"

٣- نفع المشفوع له.

ويظهر هذا النفع في رفع الدرجات في الجَنَّة، أو عدم دخوله النار بعد استحقاقها، أو خروجه منها بعد دخولها فيها، وقد أخرج ابن أبي عاصم عن حماد بن زيد قال: سألت عمر بن دينار: أسمعتَ جابر بن عبد الله رضي الله عنه يحدِّث عن النبي ﷺ:"إن الله يُخْرِج قوماً من النار بالشفاعة؟ قال: نعم"

- **النبي ﷺ أول شافع وأول مشفع**

- فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع[١]، وأول مُشفَّع[٢]"

(١) شافع: يعني "شفيعاً"

(٢) مُشفَّع: يعني رجاه الناس وأملوا فيه الشفاعة.

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
"أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمدِ ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدمُ فمَن سواهُ إلا تحتَ لوائِي، وأنا أول شافع، وأول مشفَّع ولا فخر" (صحيح الجامع: ١٤٦٨)
بيان وإيضاح: لما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذْكَر افتخاراً في الغالب؛ أراد النبي ﷺ أن يقطع وهم مَن توهَّم أنه يذكر ذلك افتخاراً، فقال: "ولا فخر".

• والنبي ﷺ صاحب الشفاعة يوم القيامة.

ففي "صحيح البخاري" من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال:
"إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً [1]، كل أُمَّة تتبعُ نبيها، يقولون: يا فلانُ اشفع، يا فلانُ اشفع، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى محمدٍ ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقامَ المحمودَ"

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أُبَي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
"إذا كان يوم القيامة؛ كنتُ إمام النبيين وخطيبَهُم، وصاحب شفاعتهم، غير فخرِ"

(صحيح الجامع:٧٨١)

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
"أُعطِيتُ خمساً لم يُعْطهُنَّ أحدٌ من قبلي: نُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أُمَّتِي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلَّت لي الغنائم، ولم تحلّ لأحد من قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعِثْتُ إلى الناس عامة"
وفي "صحيح مسلم" من حديث أُبَي بن كعب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ:
"أُرْسلَ إليَّ أنْ اقْرَأْ القرآن على حرفٍ، فرددتُ إليه أنْ هَوِّن على أُمَّتِي؛ فردَّ إليَّ الثانية اقْرَأْهُ على حرفين، فرددتُ إليه أنْ هَوِّن على أُمَّتِي؛ فردَّ إليَّ الثالثة اقْرَأْهُ على سبعة أحرفٍ، فلك بكلِّ ردَّةٍ رددتكها مسألةٌ تسألنيها، فقلت: اللهمَّ اغفر لأُمَّتِي، اللهمَّ اغفر لأُمَّتِي، وأَخَّرتُ الثالثة ليوم يرغبُ إليَّ الخلق كلُّهمُ حتى إبراهيم ﷺ"
وهذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى، وهي واحدة من شفاعات النبي ﷺ

---

(١) جُثاً: أي: جماعة، وتروى هذه اللفظة: "جَثِيّ" (بتشديد الياء) جمع: "جاث"، وهو الذي يجلس على ركبتيه.(النهاية)

أنـــــواع الشفـــاعـــــات

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في "القول المفيد" (٤٢٥/١)عند قوله تعالى:

{قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} [الزمر:٤٤] "أفادت الآية في قوله: {جَمِيعاً} أن هناك أنواعاً للشفاعة".اهـــ

فهناك أنواع كثيرة من الشفاعات المقبولة، ومنها: شفاعة النبي ﷺ وهي متنوعة، وهناك شفاعة الملائكة وشفاعة المؤمنين، وشفاعة الشهداء، وشفاعة رب العالمين، وشفاعة القرآن، ولنا مع كل شفاعة وقفة.

أولاً: شفاعة النبي ﷺ وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى:

وهي شفاعته لأهل الموقف من أُمَّته ومن غيرهم حتى يُقْضَى بينهم وينصرفوا، وهي خاصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام أجمعين –

ففي أرض المحشر عندما يشتد البلاء بالخلق حيث طال بهم الوقوف، واشتد الحر وبلغ العرق مبلغه، وتأخر الحساب، ورَكبهم من الغَمِّ والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيبحثون عن أصحاب المنازل العالية؛ ليشفعوا لهم عند رب البرية، حتى يُقضَى بين العباد، فيذهبوا إلى آدم عليه السلام فيحيلهم إلى نوح، ونوح يحيلهم إلى إبراهيم، وإبراهيم يحيلهم إلى موسى، وموسى يحيلهم إلى عيسى، والكل يقول: لست لها، حتى يأتوا النبي ﷺ فيقول: "أنا لها... أنا لها"، فيقوم الرسول مقاماً يحمده عليه الأولون والآخـــــــرون، وتظهر فيه منزلته العظيـــــــمة ودرجته العالية الرفيعة، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله

إياه، حيث قال: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً} [الإسراء:٧٩]،

فيستأذن النبي ﷺ على ربه فيأذن له، فيقوم بين يديه، ويخر ساجداً، ويحمد ويثني عليه، ثم يؤذن له في الشفاعة؛ فيشفع وتقبل شفاعته، فيأتي الله ﷻ إتياناً يليق بمقامه — سبحانه — للقضاء والفصل بين العباد

– ودليل هذا النوع من الشفـــاعة ما أخرجه الترمذي عن أبـــي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيـــامة، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ومـــا من نبـــي يومئذ، آدم فمَن سواه، إلا تحت لوائي(١)، وأنا أول مَن تنشقُّ عنه الأرض ولا فخر، فقال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبونا آدم، فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: إني أذنبت ذنباً فأُهبطت به إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً؛ فيأتون نوحاً، فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأُهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم،

---

(١) لوائي: اللواء هو العلم أو الراية، وجمعه: "ألوية".

فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ماحل(١) بها عن دين الله، ولكن ائتوا موسى، فيأتون موسى، فيقول: قد قتلت نفساً، ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى، فيقول: إني عُبِدتُ من دون الله، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، فانطلق معهم، قال ابن جدعان: قال أنس: "فكأني أنظر إلى رسول الله، قال: فآخذ بحلقة باب الجنَّة، فأقعقعها، فيقال: مَن هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي، ويُرحِبون بي، فيقولون: مرحباً، فأخر ساجداً، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيُقال لي: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تُشَفَّع، وقل يُسمَع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى: {عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً}(٢)[الإسراء:٧٩]"

أخرج "البخاري ومسلم" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيؤتى موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد، فأوتَي، فأقول: أنا لها، ثم أنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذَن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامدَ لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخرُّ لربنا ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقول: انطلق فمَن كان في قلبه حبة من بُرَّةٍ [٣] أو شعيرةٍ من إيمانٍ فأخرجْه منها، فأنطلقُ فأفعلُ، ثم أرجعُ إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأقول: يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها، فأنطلقُ فأفعلُ، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلقُ فأفعلُ.

قال: ثم أرجعُ إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي:

يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: فليس ذلك لك، أو قال: ليس ذلك إليك، ولكن وعزَّتي وكبريائي وعظمتي لأُخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله"

---

(١) ماحل: "المماحلة": هي المخاصمة والمجادلة.

(٢) والمقام المحمود هو المقام الذي يحمده فيهم الخلائق كلهم، قال ابن جرير: "قال أكثر أهل التأويل: "ذلك المقام الذي يقومه ﷺ شفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم مِمَّا هم فيه من شدة ذلك اليوم".

(٣) البرة: حبة القمح أو الشعير.

وأخرج البخاري ومسلم عن قتادة عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمون لذلك[1] – وفي رواية: فيلهمون لذلك – فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ قال: فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشْفَعْ لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم[2]، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، قال: فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم، وذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلَّمه الله وأعطاه التوراة، قال: فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً، عبداً غَفَرَ الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال: قال رسول الله ﷺ: فيأتوني، فأستأذنُ على ربي، فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد، ارفع، قل يُسْمَع، سل تعطه، اشفع تُشَفَّع، فأرفعُ رأسي، فأحمدُ ربي بتحميد يُعَلِّمُنيه ربي، ثم أشفع، فيُحدّ لي حداً، فأخرجُهم من النار، وأدخلهم الجَنَّة، ثم أعود فأقع ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع يا محمد، قل يُسْمَع، سل تعطه، اشفع تُشَفَّع، فأرفعُ رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيُحدّ لي حداً، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجَنَّة، قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، قال قتادة: أي من وجب عليه الخلود" (أخرجه البخاري ومسلم)

وفي رواية: "ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن–أي وجب عليه الخلود– ثم تلا هذه الآية: {عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً} [الإسراء:٧٩]، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم"

– زاد في رواية: "فقال النبي ﷺ: يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة [3]، ثم يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة"

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال:

"كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرقع إليه الذراع – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة [1]، وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون: مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي،

(١) فيهتمون لذلك أي: يعتنون بسؤال الشفاعة وزوال الكرب الذي هم فيه.
(٢) لست هناكم: أي لست أهلاً لذلك.
(٣) البرة: حبة القمح أو الشعير.

وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون مَن يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنَّة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبداً شكوراً، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات... فذكرها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

(١) النهس: أخذ اللحم بمقدم الأسنان– أما النهش (بالشين)، فهو تناوله بالأسنان وبالأضراس مع القبض على اللحم ونثره.

فيأتون عيسى فيقولون: أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وكلَّمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً ﷺ – وفي رواية: فيأتوني– فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، قد غَفَرَ الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلقُ، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأقول: أُمَّتِي يا رب، أُمَّتِي يا رب، أُمَّتِي يا رب، فيقال: يا محمد، أَدْخِل من أُمَّتِك مَن لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجَنَّة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين [١] من مصاريع الجَنَّة، كما بين مكة وهجر [٢] – أو كما بين مكة وبصري [٣]–"

– وفي رواية البخاري: كما بين مكة وحمير [٤] "

إشكال والرد عليه:

الناظر في الأحاديث السابقة يجد أن المؤمنين يرغبون إلى الأنبياء وآخرهم محمد ﷺ؛ كي يخلصوهم من الموقف العظيم، إلا أننا نجد في الأحاديث أن الرسول ﷺ عندما يشفع إنما يشفع لأُمَّته فقط، فكيف يمكن توجيه هذا؟

ذكر هذا الإشكال ابن حجر العسقلاني – صلى الله عليه وسلم – ، ونقله عن الداوردي، فإنه قال: "كأن راوي هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله، وذلك أن في أول ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط، وسقوط مَن يسقط في تلك الحالة في النار، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج".

قال ابن حجر بعد نقله كلام الداوردي: "وهو إشكال قوي" (فتح الباري:١١/٤٣٨)

وقال ابن حجر رحمه الله أيضاً: "وقد أجاب عن هذا الإشكال القاضي عياض رحمه الله وتبعه النووي وغيره، بأنه قد وقع في حديث حذيفة المقرون بحديث أبي هريرة بعد قوله: "فيأتون محمداً، فيقوم ويؤذن له" – أي في الشفاعة– وترسل الأمانة والرحم، فيقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق..." الحديث، فقال القاضي عياض: فبهذا

(١) المصراعين: لكل باب مصراعان يفتتحان أو يغلقان، وقد يغلق أحدهما ويفتح الآخر، وتُسمِّيه العامة: "ضلفة" بدلاً من المصراع.

(٢) هَجَر: بفتحتين، بلد بقرب المدينة.

(٣) بصري: على وزن حبلي بلدة بالشام.

(٤) حمير: كدرهم، موضع غربي صنعاء اليمن.

يتصل الكلام؛ لأن الشفاعة التي لجأ إليه الناس فيها هي الإراحة من كرب الموقف، ثم تجئ الشفاعة في الإخراج، وقد وقع في حديث أبي هريرة الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تمييز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه، فكان الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف، قال: وبهذا تجتمع متون الأحاديث، وتترتب معانيها" (فتح الباري:١١/٤٣٨)

النوع الثاني من شفاعة النبي ﷺ: شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم: فشفع فيهم ليدخلوا الجَنَّة، وعلي قول بعض المفسرين: "إنهم أصحاب الأعراف، حيث تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيُجعَلُون على رأس جبل بين الجَنَّة والنار لأجل التساوي، إذا نظروا يمنة إلى الجَنَّة سُرُّوا، وإذا نظروا شمالاً إلى النار خافوا فيشفع فيهم النبي ﷺ لدخول الجَنَّة.

النوع الثالث: شفاعته ﷺ في أقوام من أهل التوحيد قد وجبت لهم النار بذنوبهم، فشفع لهم في أن لا يدخلوها، وهي شفاعته في أهل الكبائر.

١- فقد أخرج الترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتِي"

٢- وأخرج أبو يعلى في "مسنده" وابن أبي عاصم عن ابن عمر رضي الله عنه قال:

"ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر؛ حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول: إن الله - تبارك وتعالى - لا يغفر أن يُشْرَك به، ويغفر ما دون ذلك لِمَن يشاء، قال: فإني أخَّرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتِي يوم القيامة، قال ابن عمر: فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا" (صححه الألباني في تخرجه على كتاب السُنَّة)

٣- وأخرج البيهقي وابن أبي عاصم بسند صحيح من حديث أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "أُريت ما تلقى أُمَّتِي بعدي، فأحزنني وشقَّ ذلك عليّ من سفك أبناء بعضهم بعضاً، فسألته أن يوليني شفاعة فيهم يوم القيامة، ففعل" (صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)

٤- وفي هذا حديث رواه أيضاً ابن أبي الدنيا في "كتاب الأهوال"، وذكره ابن كثير في "النهاية" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"أُمِرَ بقوم من أُمَّتِي قد أمر بهم إلى النار، فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة، قال: فآمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنطلقُ وأستأذنُ على الرب عز وجل فيأذن لي، فأسجد، وأقول:

يا رب، قوم من أُمَّتِي قد أُمر بهم إلى النار، قال: فيقول لي: انطلق، فأَخْرِج منهم، قال: فأنطلق وأخرج منهم مَن شاء الله أن أخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد ننشدك الشفاعة، فأرجعُ إلى الرب فاستأذن؛ فيُؤذن لي فأسجد، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع..." الحديث

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا يقتضي تعداد هذه الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات ألا يدخلوها، ويكون معنى قوله: "أَخْرِج" أي: أنقذ، بدليل قوله بعد ذلك: "ويبقى قوم يدخلون النار"، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. اهـ

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات مَن يدخل الجَنَّة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم:

ومثال ذلك شفاعته لأبي عامر.

ففي "صحيح البخاري" عن أبي موسى ﷺ قال:

"لما فرغ النبي ﷺ من حنين، بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرُمِيَ أبو عامر في ركبته فانتهيت إليه، فقلت: يا عم، مَن رماك؟ فأشار إلى أبي موسى، فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، قال أبو موسى: فقصدتُ له فلحقته، فلما رآني ولَّى، فاتَّبَعْتُهُ، وجعلت أقولُ له: ألا تستحي، ألا تثبت؟ فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته، فنزا منه الماء، قال: يا ابن أخي اقرئ النبي ﷺ وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات، فرجعتُ فدخلتُ على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل، وعليه فرش، وقد أثَّر رمال السرير بظهره وجنبه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له: استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: اللهم اغفر لعبيد أبي عامر، ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس، فقلت: ولي فاستغفر، فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً، قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى"

- وكذلك شفاعته لأبي سلمة لرفع درجته:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قُبِضَ تبعه البصر، فضجَّ ناسٌ من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤمِّنُون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونوِّر له فيه"

تنبيه:

وافقت المعتزلة أهل السُّنَّة في هذه الشفاعة خاصة، وخالفت فيما عداها من أنواع الشفاعات.

ومما يدل على هذا النوع من الشفاعة، قوله تعالى:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ} [الطور:٢١]

{مَا أَلَتْنَاهُم}: أي ما أنقصناهم من عملهم من شيء، وفي هذه الآية: "يخبر الله تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم الله بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم لتقرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله

ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك، ولهذا قال: {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ}اهـ
(مختصر تفسير ابن كثير:٣/٤٣١)

قال ابن عباس رضي الله عنه: "إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ} [الطور:٢١]
(السلسلة الصحيحة: ٢٤٩٠)

وهذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، أما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء

فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن الرجل لتُرْفع درجته في الجَنَّة، فيقولُ: أنَّى لي هذا؟ فيقال: باستغفارِ وَلَدك لك"
(صحيح الجامع: ١٦١٧)

النوع الخامس: شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجَنَّة بغير حساب:

١- روى هناد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"سألتُ الله الشفاعة لأُمَّتِي، فقال: لك سبعونَ ألفاً يدخلون الجَنَّة بغير حساب ولا عذاب، قلت: رَبِّ زدني، فحثا لي بيديهِ مرتين، وعن يمينه وعن شماله " (صحيح الجامع: ٣٥٩)

٢- أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"وعدني ربي أن يُدخل الجَنَّة من أُمَّتِي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثياتٍ من حثيات ربي" (صحيح الجامع:٧١١١)

٣- وأخرج البخاري ومسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"يدخل الجَنَّة من أُمَّتِي زُمرةٌ هم سبعون ألفاً تُضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر... وقال أبو هريرة: فقام عُكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم قال: اللهم اجعله منهم " – وفي رواية أنه ﷺ قال: "أنت منهم"- ثم قام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عُكاشة"

وفي "الصحيحين" من حديث من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة الطويل:"يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقول: أَدْخِل من أُمَّتِك مَن لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجَنَّة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجَنَّة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى"

– وهؤلاء الذين يدخلون الجَنَّة بغير حساب، يدخلون الجَنَّة مباشرة بشفاعة النبي ﷺ قبل الفصل بين العباد، فهم في الجَنَّة على سُرِرٍ متقابلين والناس مازالوا في أرض الموقف لم يفصل بينهم"

النوع السادس: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمَّن يستحقه كشفاعته في عمِّه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

فقد أخرج البخاري عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال النبي ﷺ:

"ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو في ضحضاح[1] من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"

- قال القرطبي في "التذكرة" بعد ذكر هذا النوع:

""فإن قيل: فقد قال تعالى: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}[المدثر:٤٨]، قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنَّة"

تنبيه:

أبو طالب عم النبي ﷺ هو أهون أهل النار عذاباً.

فقد ثبت في "صحيح مسلم" عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه"

النوع السابع: شفاعة النبي ﷺ لأقوام من أُمَّته دخلوا النار، فيخرجهم منها

يقول "صاحب معارج القبول"رحمه الله: "وشفاعته ﷺ في أقوام ماتوا على دين الإسلام وأوبقتهم كثرة الآثام، فيشفع لهم النبي ﷺ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنَّة، فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السُّنَّة والجماعة، كما آمن بها الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان - رضي الله عنهم ورضوا عنه -، وأنكرها في آخر عصر الصحابة (الخوارج)، وأنكرها في عصر التابعين (المعتزلة)، وقالوا بخلود مَن دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجُّون البيت الحرام، ويسألون الله الجنَّة، ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مُصِرِّين على معصية عملية عالمين بتحريمها، معتقدين مؤمنين بما جاء فيها من الوعيد الشديد، فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله ﷻ:

{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص:٢٨]، وقوله ﷻ:

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية:٢١]

وقوله تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ{٣٥} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم:٣٥-٣٦]

(١) ضحضاح: ما زق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره بالنار" (النهاية ٣/٧٠)

ومما يدل على هذا النوع من الشفاعة، ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه

عن النبي ﷺ قال: "يُجمع المؤمنون يوم القيامة، فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسْجَدَ لك ملائكته، وعلَّمَكَ أسماء كل شئ، فاشفع لنا عند ربِّك، حتى يُرِيحَنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هُناكم، ويذكر ذنبه الذي أصابه، فيستحي ربَّه عز وجل من ذلك، ويقول: ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئةَ سؤالِهِ ربَّه ما ليس له به علمٌ، فيستحي ربَّه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه، فيقولُ: لستُ هناكم، ولكن ائتوا موسى عبداً كلَّمه الله، وأعطاهُ التوراة، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم النَّفسَ التي قتل بغير نفسٍ، فيستحي ربَّه من ذلك، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمَتَهُ وروحَهُ، فيأتون عيسى، فيقول لهم: هناكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غَفَرَ الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر، فأقومُ، فأمشي بين سماطين من المؤمنين، حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي – تبارك وتعالى –، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد، قل يُسمَع، وسل تُعْطَهُ، واشفع تُشَفَّع، فأرفعُ رأسي، فأحمدُهُ بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً؛ فأُدخلهم الجنَّة، ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي – تبارك وتعالى–، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد! قل يُسمَع، وسل تُعْطَهُ، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنَّة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربي – تبارك وتعالى–، وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد! قل يُسمَع، وسل تُعْطَهُ، واشفع تُشَفَّع، فإذا رفعت رأسي، فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنَّة، ثم أعود الرابعة، فأقول: يا ربِّ! ما بقي إلا من حبسه القرآن، فيُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة، ثم يُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذَرَّةً"

– وأخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم — أو قال: بخطاياهم — فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أُذن بالشفاعة"

النوع الثامن: شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجَنَّة:

– أخرج الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ:

"أنا أول الناس يشفع في الجَنَّة، وأنا أكثر الأنبياء تَبَعاً"

– وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ:

"آتي باب الجَنَّة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمِرتُ، لا أفتح لأحد قبلك[1]"

– وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"يجمع الله الناس[2] يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجَنَّة [3]، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا الجَنَّة، فيقول: وهل أخرجكم من الجَنَّة إلا خطيئة أبيكم آدم! لست بصاحب ذلك [4]، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ [5]، اعمدوا إلى موسى الذي كلَّمه تكليماً، قال: فيأتون موسى، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله [6] وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً ﷺ، فيقوم، فيُؤذَن له، وترسل الأمانة والرحم[7]، فتقومان جَنَبَتي الصراط[8] يميناً وشمالاً، فيمرُّ أولكم كالبرق، ثم كمرِّ الريح، ثم كمرِّ الطير، وشدِّ الرِّجَال [9]، تجري بهم أعمالهم [10]، ونبيكم قائم على الصراط، فيقول: يا ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتى تعجزَ أعمالُ العباد، وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي حافتي الصراط[11] كلاليب مُعَلَّقةٌ، مأمورةٌ،

---

(١) وقفة: كما أن النبي ﷺ هو أول مَن سيفتح باب الجَنَّة، وهذا من إكرام الله له، فكذلك أول مَن سيدخل الجَنَّة من الأمم، أمة النبي ﷺ، فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول مَن يدخل الجَنَّة"

(٢) يجمع الله الناس: أي بعد البعث بأرض المحشر.

(٣) تُزلف لهم الجَنَّة: يعني تُقرَّب لهم الجَنَّة.

(٤) لست بصاحب ذلك: أي لست صاحب التصريف بهذا المقام المنيف.

(٥) وراءَ وراءَ: وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع، أي: لست بتلك الدرجة الرفيعة، وهي من باب التأكيد كـ(شَذَرَ مَذَرَ، شَغَرَ بَغَرَ).

(٦) عيسى عليه السلام ليس هو كلمة الله، إنما جاء بكلمة الله وهي (كن)، ومن قال إن عيسى عليه السلام هو كلمة الله؛ فقد جعل كلام الله تعالى مخلوق، تعالى الله عن ذلك.

(٧) الرحم: هم القرابة، وهي كلمة تطلق على كل مَن يجمع بينك وبينهم نسب.

(٨) جَنَبَتَي الصراط: جانباه، ناحيتاه: اليمنى واليسرى.

(٩) شدّ الرجال: الشد: هو العَدْو البالغ، والجَرْي.

(١٠) هو تفسير لقوله ﷺ: "فيمرُّ أولكم كالبرق... ثم كمرِّ الريح..." إلى آخره

(١١) حافتي الصراط: هما جانباه.

تأخذُ مَن أُمِرَت به، فمَخْدُوش ناج، ومَكْدُوس[1] في النار"

(١) مكدوس: قال في النهاية: "أي مدفوع"، وتكدُس الإنسان: إذا دُفع من ورائه فسقط.

تنبيهات:

١- جميع هذه الأنواع من الشفاعة يشترط في أهلها التوحيد، بخلاف النوع الأول والسادس من شفاعة النبيﷺ، فلا يشترط في أهلها التوحيد؛ فالنوع الأول: فيه أنهﷺ يشفع لأُمَّته ولغيرها من الأمم للانصراف من الموقف، والنوع السادس: شفاعته الخاصة بعمه أبي طالب، فإنه لا يشترط في أهلها أيضاً التوحيد.

٢- أنواع شفاعة النبي ﷺ الخاصة بأُمَّتِه تدل على مدى شفقة وحرص النبي ﷺ على أُمَّته "

قال تعالى:{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١٢٨]

- وأخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"كلُّ نبي سأل سؤالاً - أو قال: لكلِّ نبي دعوة دعاها لأُمَّته -، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأُمَّتِي يوم القيامة"

- وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"لكلِّ نبي دعوة دعا بها في أُمَّته، وخبَّأتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتِي يوم القيامة"

- وأخرج ابن أبي عاصم في "كتاب السُّنَّة" من حديث عبد الرحمن بن أبي عقيل قال:

"انطلقنا فأتينا رسول الله ﷺ فأنخنا بالباب، وما في الناس أبغض إلينا من رجل يلج عليه، فما خرجنا حتى ما في الناس أحدٌ أحب إلينا من رجل يدخل عليه، قال: فقال قائل منا:

يا رسول الله ألا سألت ربك مُلْكَاً كمُلكِ سليمان؟ فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: لعل صاحبكم عند الله أفضل من مُلْكِ سليمان، إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، فمنهم مَن أتخذها دنيا فأُعْطِيها، ومنهم مَن دعا بها على قومه إذ عصوه فأُهْلِكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة، فخبيتها عند ربي شفاعة لأُمَّتِي يوم القيامة"

- وفي "صحيحي البخاري ومسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"لكلِّ نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعة لأُمَّتِي يوم القيامة، فهي نائلة[1] إن شاء الله مَن مات من أُمَّتِي لا يشرك بالله شيئاً"

قال ابن بطال رحمه الله: "وفي هذا الحديث بيان فضل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء، حيث آثر أُمَّته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، و لم يجعلها أيضاً دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممَّن تقدَّم"

وقال ابن الجوزي رحمه الله:"هذا من حُسْن تصرفه ﷺ؛ لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي، ومن كثرة كرمه؛ لأنه آثر أُمَّته على نفسه، ومن صحة نظرة؛ لأنه جعلها للمذنبين من أُمَّته؛ لكونهم أحوج إليها من الطائعين"

- وقد أخرج ابن أبي عاصم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال:
"رأيت ما يلقى أُمَّتِي من بعدي، فأحزنني؛ فأخَّرت شفاعتي إلى يوم القيامة"

٣- مواطن يشفع عندها الرسول ﷺ:

وقد جاء ذكر هذه المواطن في الحديث الذي أخرجه الترمذي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: "سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، قال: أنا فاعل إن شاء الله، قال أنس: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن يوم القيامة"

---

(١) وقوله: "فهي نائلة" فيه دليل لأهل السُّنَّة، أن مَن مات غير مشرك لا يخلد في النار، ولو مات مصراً على الكبائر"(راجع فتح الباري:١١/١٠٠)

الأسباب الجالبة لشفاعة النبي ﷺ

١- عدم الشرك:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"لكلِّ نبي دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كلُّ نبي دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعة لأُمَّتِي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله مَن مات مِن أُمَّتِي لا يشرك بالله شيئاً"

- وأخرج ابن أبي عاصم بسند صحيح عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ:
"أتاني آت من ربي، فخيَّرني بين أن يدخل نصف أُمَّتِي الجَنَّة وبين الشفاعة، وإني اخترت الشفاعة، فقلنا: يا رسول الله، ننشدك الله والصحابة، لما جعلتنا من أهل شفاعتك، قال: فإنكم من أهل شفاعتي، قال: فما أضبّوا عليه، قال: فإني أشهد مَن حضر أن شفاعتي لِمَن مات لا يشرك بالله شيئاً من أُمَّتِي" (صححه الألباني رحمه الله في شرح السُّنَّة)

فالتوحيد وإخلاص العبادة لله من أهم وأفضل الأسباب الجالبة لشفاعة النبي ﷺ، وكل مَن حصل له الشفاعة من جهة النبي ﷺ سعد بها، إلا أن أسعد الناس بشفاعته هو المؤمن الموحد الذي قال:
"لا إله إلا الله" خالصة من قلبه.

- فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
"قلت يا رسول الله، مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه"

- وقوله: "خالصاً" احتراز من المنافق؛ لأن المنافق يقولها، ولكنها ليست بإخلاص ولا صدق، قال تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون:١]

- وفي رواية: "أسعد الناس بشفاعتي، مَن قال: لا إله إلا الله يصدق قلبه لسانه، ولسانه قلبه"

قال ابن القيم رحمه الله: "تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنَال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين، أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع" اهـ

وقفة:
ذكر الترمذي الحكيم في "نوادر الأصول" عن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
"مَن قال: لا إله إلا الله مخلصاً؛ دخل الجَنَّة، قيل: يا رسول الله، ما إخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله"

٢- مَن سكن المدينة وصبر على شدتها:

- أخرج الإمام مسلم عن أبي سعيد مولى المهري:

"أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أنه لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها[1]، فقال له: "ويحك لآمرك بذلك؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يصبر أحد على لأوائها فيموت، إلا كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً"

- وأخرج الإمام مسلم كذلك عن يُحنَّس مولي الزبير:

"أخبره أنه كان جالساً عند عبد الله بن عمر في الفتنة، فأتته مولاة له تُسلِّم عليه، فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن، اشتد علينا الزمان، فقال لها عبد الله: اقعدي لكاع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا يصبر على لأوائها، وشدتها أحدٌ، إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة"

- وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:"لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحدٌ من أُمَّتِي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً"

تنبيه:

وردت أحاديث تبيِّن أن زيارة قبر الرسول ﷺ سبب لشفاعته، وهذه الأحاديث لا تصح، ومنها حديث: "مَن زار قبري وجبت له شفاعتي"

٣- مَن مات بالمدينة:

- فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن استطاع أن يموت بالمدينة فليمت؛ فإني أشفعُ لِمَن يموت بها"

- وكان عمر رضي الله عنه يدعو الله أن يموت بها، فكان يقول كما في صحيح البخاري:

"اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك" وأعطاه الله ما أراد- فرضي الله عنه- ولحقنا به"

٤- الصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان، ثم طلب الوسيلة له:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه مَن صلَّى عليَّ صلاةً؛ صلَّى الله عليه بها عشراً، ثم

(١) لأوائها: يعني الصبر على شدائدها، وضيق العيش فيها.

سَلُوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنَّة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة[1]"

٥- الصلاة على النبي ﷺ صباحاً ومساءً:

فقد أخرج الطبراني في "الكبير" من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
"مَن صلَّى عليَّ حين يُصبِحُ عَشْراً، وحين يُمسي عشراً؛ أدركته شفاعتي يوم القيامة"
(صحيح الجامع:٦٣٥٧)

٦- من أسباب الشفاعة كثرة السجود:

فقد روى عبد الله بن المبارك في "الزهد" عن حسين بن عليّ قال: حدثتني فاطمة بنت الحسين أن رجلاً قال: "يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني من أهل شفاعتك، قال: أَعِنِّي بكثرة السجود"

وهذا الحديث مرسل إلا أنه يشهد له أحاديث أخرى منها:-

- ما جاء في "أُسْد الغابة" عن مصعب الأسلمي قال:

"انطلق غلامٌ لنا فأتى النبي ﷺ، فقال: أسألك أن تجعلني ممَّن يشفع له يوم القيامة، فقال: مَن علَّمك أو أمرك أو دلَّك؟ فقال: ما أمرني إلا نفسي، قال: إني أشفع لك: ثم ردَّه فقال: أَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود"

- وروى الإمام أحمد عن خادم للنبي ﷺ رجل أو امرأة قال: "كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: ألك حاجة؟ قال: حتى كان ذات يوم، فقال: يا رسول الله، حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: ومن دلَّك على هذا؟ قال: ربي، قال: أما لا فأَعِنِّي بكثرة السجود"

- وأخرج الإمام مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال:
"كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضوئه وحاجته، فقال لي: سل، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنَّة، قال: أوغير ذلك، قلت: هو ذاك، قال: فأَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود"

---

(١) وأما عن كيفية سؤال الوسيلة، فقد وضَّحها النبي ﷺ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"مَن قال حين يسمعُ النداء: اللهم رب هذه الدعوة التَّامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة"

ثانياً: شفـــاعة المـــلائـــكـــة:

قال تعالى: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم:٢٦]

وفي الآية دلالة على شفاعة الملائكة، لأنه ﷻ إذا أذن للملك فإنه يشفع.

وقال تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء:٢٨]

– وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"يُحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتتقادع بهم جَنَبَتَا الصراط تقادع الفراش في النار، فينجي الله برحمته مَن يشاء، ثم أنه يؤذن في الشفاعة للملائكة والنبيين والشهداء والصديقين، فيشفعون؛ ويخرجون من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان"

– وقد قال رب العالمين في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الحبيب النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل:

" شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين..." الحديث. في هذا الحديث دليل على شفاعة الملائكة.

ثالثاً: شفاعة المؤمنين: ودليلها:-

١- ما أخرجه البخاري ومسلم في حديث عن أبي سعيد الخدري ﵁ وفيه أن النبي ﷺ قال: "... ثم يُضرب الجسرُ على جهنم، وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللهمَّ سلِّم سلِّم، قيل:

يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دَحضٌ مَزِلَّةٌ، فيه خطاطيف وكلاليب، وحسَكَةٌ تكون بنجد، فيها شوَيكَةٌ، يقال لها: السَّعدانُ، فيمرُّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناجٍ مسلَّمٌ، ومخدوشٌ مرسلٌ، ومكدوسٌ في نار جهنم، حتى إذا خلصَ المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مناشدة لله في استيفاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويُصلُّون، ويحجُّون، فيقال لهم: أَخْرِجُوا مَن عَرَفْتُم، فتحرَّمُ صُوَرُهُم على النار، فيُخْرِجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممَّن أمرتنا به، فيقول الله ﷻ: ارجعوا، فمَن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير – وفي رواية: من إيمان[١] – فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقا كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممَّن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خيرٍ فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا، فمَن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً"

٢- وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ليخرجن الله من النار قوماً منتنين قد محشتهم النار، فيدخلون الجَنَّة بشفاعة الشافعين، يسمون فيها الجهنميون"

٣- ويدل على شفاعة المؤمنين في الآخرة؛ أن الله ﷻ قال في تتمة الحديث السابق:

"شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين..." الحديث

٤- وأخرج الترمذي من حديث أبي سعيد ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:

"إن من أُمَّتِي مَن يشفع للفئام من الناس، ومنهم مَن يشفع للقبيلة، ومنهم مَن يشفع للعصبة، ومنهم مَن يشفع

---

(١) وقول النبي ﷺ: "مثقال دينار من إيمان"، قال القاضي عياض: "الصحيح أن معناه: شيء زائد على مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح، أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى، أو نية صادقة، ويدل عليه ما جاء في رواية ثانية: "يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن كذا وكذا..." (انظر "صحيح مسلم بشرح النووي:٣/٣١).

للرجل حتى يدخلوا الجَنَّة"

٥- وأخرج الإمام مسلم عن الصنابحي أنه قال:
"دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت، فقال: مهلاً لم تبكي؟ فوالله لئن شهدتُ لأشهدن لك، ولئن شفعتُ لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك، ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدَّثْتُكُمُوه، إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن شَهِدَ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ حرَّم الله عليه النار"

٦- وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:
"ليدخلنَّ الجَنَّة بشفاعة رجل ليس بنبي، مثل الحيين [١] ربيعة ومضر، فقال رجل: يا رسول الله أوما ربيعة من مضر؟ فقال: إنما أقول ما أقول"

٧- وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي برزة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
"إن من أُمَّتِي لَمَن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر، وإن من أُمَّتِي لَمَن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها"

٨- وعند الإمام أحمد كذلك عن عبد الله بن شقيق قال:
"جلستُ إلى رهط أنا رابعهم بإيليا، فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليدخلن الجَنَّة بشفاعة رجل من أُمَّتِي أكثر من بني تميم، قلت: سواك يا رسول الله؟ قال: سواي، قلت (يعني عبد الله بن شقيق): أنت سمعته؟ قال: نعم، فلما قام، قلت: مَن هذا؟ قالوا: ابن أبي الجدعاء"

---

(١) الحيّ: القبيلة من العرب، والجمع: أحياء.

رابعاً: شفـــــاعة الشهيد:

يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته

فقد أخرج أبو داود من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته"

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"للشهيد عند الله سبع خصال، يُغْفَر له في أول دفعة من دمه، ويُرَى مقعده في الجنَّة، ويُحلَّى حُلةَ الإيمان، ويُزوَّج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُوضَع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته" (صحيح الجامع:٥١٨٢)

خامساً: شفاعة أولاد المؤمنين الذين ماتوا دون البلوغ:

- فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"ما من [الناس] مسلمٍ يموت له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث؛ إلا أدخله الجنَّة بفضل رحمته إياهم"

- وأخرج الإمام مالك في "الموطأ" عن النبي ﷺ قال:
"لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم؛ إلا كانوا له جُنَّة من النار، فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أو اثنان؟، قال: أو اثنان"

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي السليل عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه:
"إنه قد مات لي ابْنَان، فما أنت مُحَدِّثِي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيبُ به أنفسنا عن موتانا، قال: نعم، صغارهم دعاميصُ أهل الجنَّة، يتلقي أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال: بيده - فلا ينتهي حتى يدخله اللهُ وأبَاهُ الجَنَّة"

- وفي "مسند الإمام أحمد" عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال:
"يُقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنَّة، قال: فيقولون: يا ربِّ حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا، قال: فيأتون، قال: فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم مُحْبَنْطِئِينَ! ادخلوا الجنَّة، قال: فيقولون: يا ربِّ آباؤنا وأمهاتنا، قال: فيقول: ادخلوا الجنَّة أنتم وآباؤكم"

سادساً: شفاعة رب العالمين:

ويظهر هذا واضحاً جلياً في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ يوم القيامة:

"شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحمُ الراحمين، فيقبض قبضة من النار[1]، فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط [2]، قد عادوا حُمماً[3]، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجَنَّة[4] يُقالُ له: نهرُ الحياة، فيخرجون كما تخرُجُ الحبَّة في حميل السَّيل[5]، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو الشجر، ما يكونُ إلى الشمس أُصَيْفِرُ وأُخَيْضِرُ، وما يكون منها إلى الظل يكُونُ أبيض، فَيخرجون كاللُّؤلؤ، في رقابهم الخواتِمُ [6]، يعرفُهم أهلُ الجَنَّة: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار[7]، الذين أدخلهم الجَنَّة بغير عمل عملوه، ولا خير قدَّموه، ثم يقول: ادخلوا الجَنَّة فما رأيتموهُ فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضلُ من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً"

وقفة مع قول النبي ﷺ في الحديث السابق: "فيقبض قبضة من النار"

ولا يعلم أحد من خلق الله قدر قبضة الخالق ﷻ، لكن أحب أن أُذَكِّرَ بقوله تعالى:

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

---

(١) أي يجمع جماعة من الخلق.

(٢) قال القاضي عياض رحمه الله:"فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان، وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم، وإنما دلَّت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان؛ وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين – صلوات الله وسلامه عليهم – وتفرَّد الله ﷻ بعلم ما تكنه القلوب، والرحمة لَمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان.اهـ (انظر "صحيح مسلم بشرح النووي:٣/٣١).

(٣) قد عادوا حُمماً: "عادوا" أي: "صاروا"، وليس بلازم في "عاد" أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك، بل معناه صاروا، أما الحمم: فهو الفحم، واحدته حممة: كحطمة.

(٤) في أفواه الجَنَّة: الأفواه: جمع "فُوَّهة"، وهي الأوائل، يقال:"أفواه الأزقة والأنهار يعني أوائلها، قال صاحب المطالع: "كأن المراد في الحديث: مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها".

(٥) الحبَّة في حميل السَّيل: "الحبة" بالكسر: بذور البقل وحب الرياحين، وقيل: "هو نبت صغير ينبت في الحشيش"، وحميل السَّيل: هو ما يجيء به السيل من طين أوغثاء... وغيره، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل؛ فإنما تنبت في يوم وليلة، فشبَّه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٦) فَيخرجون كاللُّؤلؤ في رقابهم الخواتِمُ: الخواتم جمع: "خاتم"، بفتح التاء وكسرها، قال صاحب التحرير: "المراد بالخواتم هنا: أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم، علامة يعرفون بها، قال: "معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ".

(٧) هؤلاء عُتقاءُ الله من النار: أي يقولون: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار.

يُشْرِكُونَ}

ليتبيَّن لك سعة رحمة الله تعالى بعباده، فكم سيخرج من النار بقبضة العزيز الغفَّار؟ [الزمر:٦٧]

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
"يُدخِل اللهُ أهلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يدخل مَن يشاء في رحمته، ويُدخِل أهلَ النارِ النارَ، ثم يقول: انظروا مَن وجدتم في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجوه، فيخرجون منها حمماً قد امتُحشوا [١]، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحبَّة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟"

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
"حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرِج برحمته مَن أراد من أهل النار؛ أمر الملائكة أن يُخرِجوا من النار مَن كان لا يشرك بالله شيئاً ممَّن أراد الله تعالى أن يرحمه، ممَّن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيَخْرُجُون من النار قد امتُحشوا فيُصَب عليهم ماء الحياة؛ فينبتون تحته كما تنبت الحبَّة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، هو آخر أهل النار دخولاً الجَنَّة"

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
"يُعذَّب ناسٌ من أهل التوحيد فيُطرحون في النار، حتى يكونوا فيها حمماً، ثم تدركهم الرحمة، فيُخرَجون، ويُطرحون على أبواب الجَنَّة، فيرش عليهم أهل الجَنَّة الماء، فينبتون كما تنبت الغُثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجَنَّة"

فشفاعة رب العالمين من آثار رحمته بعبادة يوم القيامة.

- وأخرج ابن أبي عاصم في "كتاب السُّنَّة"عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"إذا اجتمع أهلُ النار في النار، ومعهم مَن شاء الله من أهل القبلة، يقول الكفار: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم؛ وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوبٌ فأخذنا بها، فيسمع الله ما قالوا، فأمر بمَن كان من أهل القبلة فأُخرجوا، فلما رأى ذلك أهل النار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين؛ فنخرج كما خرجوا، قال: وقرأ رسول الله ﷺ: {الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ{١} رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ} [الحجر:١-٢]"

- وأخرج البخاري وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
"لَيُصيبَنَّ أقواماً سَفْع من النار عقوبة بذنوب أصابوها، ثم ليدخلهم الجَنَّة بفضل رحمته"

---

(١) امتُحشوا: يعني: احترقوا.

سابعاً: شفـــــاعة القرآن:

مرَّ بنا أن أرحم الراحمين يشفع لعباده، فيُخرِج مَن يشاء منهم من النار، وكذلك كلام رب العالمين وهو القرآن الكريم يشفع لأصحابه يوم القيامة، ففي هذا اليوم العصيب يبحث الانسان عمَّن يشفع له لينجو من عذاب النار، وليدخل جنة الرحمن، وإذا به يجد القرآن شافعاً له مدافعاً عنه أمام الله تعالى.

- فقد أخرج ابن حبان عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"القرآن شافِعٌ مُشفَّعٌ، وماحِلٌ[1] مُصدَّقٌ، مَن جعلهُ أمَامَهُ قادَهُ إلى الجَنَّةِ، ومَن جَعَلَهُ خَلفَهُ سَاقَهُ إلى النار" (صحيح الجامع:٤٤٤٣)

- وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: - البقرة وسورة آلِ عمران-، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو كأنهما غياتيان[2]،أو كأنهما فِرْقَان[3] من طير صوافَ - تُحَاجَّانِ عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة[4]"

- وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"يجيء صاحبُ القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حَلِّه، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول القرآن: يا ربِّ زِدْه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب ارضَ عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة"

- وفي رواية: "فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه"

- وسورة تبارك تشفع لصاحبها

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفِر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك"

- وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجَنَّة، وهي تبارك"

ثامناً: شفـــــاعة الصيام:

---

(١) ماحل: يعني: ساعٍ، وقيل: خصم مجادل.

(٢) الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه.

(٣) فرقان: الفرق: هو الجماعة أو القطعة.

(٤) البطلة: أي السحرة.

الصيام كذلك يشفع لصاحبه يوم القيامة

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"الصيامُ والقرآنُ يشفعانِ للعبد يوم القيامة، يقول الصيامُ: أي ربِّ، إني مَنعته الطعامَ والشهوات بالنهار فشَفِّعني فيه، ويقول القرآنُ: ربِّ مَنعْتهُ النَّومَ بالليلِ فشَفِّعني فيه، قال: فيشفعان"

(صحيح الجامع:٣٨٨٢)

الشفاعة من أسباب سقوط العقوبة عن العصاة

فالشفاعة من جملة الأسباب التي تسقط العقوبة عن العصاة، وتتمة للفائدة نذكر كلام "شارح الطحاوية" حيث ذكر جملة من الأسباب، والتي تسقط بها العقوبة عن العصاة ومنها:-

السبب الأول: التوبة:

والتوبة مانع من إنفاذ وعيد جميع الذنوب؛ فقد قال تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً{٥٩} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً} [مريم:٥٩-٦٠]

وقال أيضاً: {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة:١٦٠]

والتوبة التي تُسقط العقوبة هي التوبة النصوح، وهي الخالصة النابعة من القلب، لا المقتصرة على النطق باللسان، والتوبة النصوح هي ما يصحبها الندم على ما فات من المعاصي، والعزم على عدم العودة إليها، وعمل الصالحات.

وكون التوبة سبباً لغفران الذنوب، وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة.

وليس شيء يكون سبباً لغفران جميع الذنوب إلا التوبة؛ قال تعالى:

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}

[الزمر:٥٣]

السبب الثاني: الاستغفـــار:

دلَّت النصوص الشرعية على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد،

فقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال:٣٣]

وقـــال تعـــالـــى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ

وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ{١٣٥} أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ}[آل عمران:١٣٥-١٣٦]

وقال تعالى: {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النساء:١١٠]

وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً} [النساء:٦٤]

- وأخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنِبُون فيستغفرون الله؛ فيغفرُ لهم"

وهناك من النصوص القرآنية والنبوية الكثيرة، والتي تدل على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد.

- والواقع أن الاستغفار يدخل في معنى التوبة، فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التي وقع فيها العبد، وهو ما يدخل في الندم على ما قدم الإنسان، فإن طلب المغفرة عنوان هذا الندم، وتزيد التوبة عن الاستغفار أن في معناها العزم على اجتناب المعاصي في المستقبل.

السبب الثالث: فعل الحسنات الماحيات:

وفعل الحسنات مانع من إنفاذ الوعيد، والأدلة على ذلك كثيرة منها:-

- قوله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود:١١٤]

- وكذا أخبر النبي ﷺ

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ:

"اتقِ الله حيثما كنت، وأتْبِع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخلق حسن"

(صحيح الجامع:٩٧)

- وأخرج الإمام مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن توضَّأ فأحسن الوضوء؛ خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من أظفاره"

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدِكُم يغتسل فيه كل يومٍ خمساً، ما تقول في ذلك، يبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس؛ يمحو الله بها الخطايا"

- وقد نقل الحافظ في "فتح الباري" عن ابن العربي رحمه الله أنه قال:

"وجه التمثيل أن المرء كما يتدنَّس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات الخمس تطهِّر العبد من أقذار الذنوب حتى لا يبقى له ذنباً إلا أسقطه. اهـ

- وكذلك الصيام يُكَفِّر الله به الخطايا

فقد ثبت في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"مَن صام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبه"

- وأما الحج فإن الإنسان يرجع منه كيوم ولدته أمه

فقد أخرج البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال: "مَن حجَّ لله فلم يرفث؛ رجع كيوم ولدته أمه"

السبب الرابع: المصـــائب المُكفِّرات:

- لقوله ﷺ: "ما يصيب المؤمن من وصبٍ[1] ولا نصبٍ[2] ولا غمٍّ ولا همٍّ ولا حزنٍ حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفَّر الله بها من خطاياه" (متفق عليه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة K)

- وأخرج البخاري عن الحبيب النبي ﷺ أنه قال:

"ما من مصيبةٍ تصيب المسلم إلا كَفَّرَ الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها"

- واعلم أن تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المصيبة نفسها، فإذا صبر المبتلى؛ فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياه، وإن سخط اكتسب إثماً جديداً، ويبقى تكفير خطاياه بوقوع المصيبة.

- وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى: "أن المصائب كما أنه يُكفَّرَ بها الذنب، فهي كذلك يُكتَب بها الأجر، واستدلُّوا بقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [التوبة:١٢٠]

- ويدل على هذا ما رواه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"ما من مسلمٍ يشاك شوكة فما فوقها إلا كُتِبَ له بها درجة، ومُحِيَت عنه بها خطيئة"

السبب الخامس: عذاب القبر:

المصائب اسم جامع للآلام التي تلحق الإنسان، نفسية كانت أو عضوية، وهذه الآلام إما أن تكون قدرية، وإما أن تكون شرعية، وعذاب القبر وضمَّته، وما فيه من الأهوال... وغير ذلك من الآلام البرزخية؛ مكفِّرة للخطايا.

السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده:

ما قيل في عذاب القبر يُقال هنا أيضاً، وأن أهوال يوم القيامة من الآلام الأُخروية، والتي يُكفِّر الله بها الخطايا.

السبب السابع: شفاعة مَن أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة:

كما هو مبيَّن في هذه الرسالة – نسأل الله تعالى لها القبول-.

---

(١) الوصب: المرض.

(٢) النصب: التعب.

السبب الثامن: عفو أرحم الرحمين من غير شفاعة.

قال تعالى: {وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}[الشورى:٢٥]، وقال تعالى: {وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [المائدة:١٥]

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:٤٨]

فدلَّت الآية على أن الله تعالى لا يغفرُ الشرك إذا مات عليه صاحبه، وما دون الشرك من المعاصي إذا مات الرجلُ مصراً عليها فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عاقبه.

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"يُدْنَى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه[1]، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربي أعرفُ، قال: فإني قد سترها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم"

- وأخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى:

"يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء[2] ثم استغفرتني؛ غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض[3] خطايا ثم لقيتني لا تُشْرِك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"

- وعند مسلم بلفظ: "ومَن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً؛ لقيته بمثله مغفرة"

- وأخرج ابن حبان في "صحيحه" عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"ما من مسلمٍ يموت، فيشهد له أربعة أبيات من جيرانه الأَدْنَيْن أنهم لا يعلمون إلا خيراً، إلا قال الله: قد قبلتُ علمَكُم فيه، وغفرتُ له ما لا تعلمون"

---

(١) كنفه: سِتره.

(٢) العَنان: ما عَنَّ منها، أي: ما ظهر، والمقصود هو السحاب.

(٣) قراب الأرض: أي ما يقارب ملء الأرض.

السبب التاسع: الدعاء لأحياء المؤمنين وأمواتهم بالمغفرة والرحمة:

والأدلة علي ذلك كثيرة منها:-

قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [محمد:١٩]

وقوله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} [آل عمران:١٥٩]

- ومن المعلوم أن الصلاة علي الميت هي نوع من أنواع الشفاعة والدعاء له

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"ما من رجلٍ مسلمٍ يموت؛ فيقوم علي جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شَفَّعَهُم الله فيه"

- وفي رواية عند مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

"ما من ميتٍ يُصلِّي عليه أُمَّةٌ من الناس يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه"

والشفاعه للميت - أي الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة - هي المقصودة من هذه الصلاة أصالة، ولذلك أمر النبي ﷺ في صلاة الجنازة بإخلاص الدعاء للميت، فقال ﷺ كما في "صحيح مسلم":

"إذا صَلَّيْتُم علي الميت فأخلصوا له الدعاء"

- وكان من دعاء النبي ﷺ للميت في صلاة الجنازة قوله ﷺ:

"اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعفُ عنه، وأَكْرِم نُزلَه، ووسِّع مُدْخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونَقِّه من الخطايا كما يُنقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدنس، وأَبْدِلْه دراً خيراً من دارِه، وأهلاً خيراً من أهلِهِ، وزوجاً خيراً من زوجِه، وأدخله الجَنَّةَ، وأعذْهُ من عذاب القبر، ومن عذاب النار"

- والاستغفار للمؤمنين الأحياء والأموات، إنما يمنع إنفاذ الوعيد ظنًّا لا قطعاً؛ لأنه دعاء، والدعاء قد لا يستجاب، إما لتخلُّف شرط، وإما لوجود مانع، وإما لحكمة إلهية لا نعلمها، ولكن جانب الإجابة أرجح لقوة دلالة النصوص، والعمل بالراجح مطلوب شرعاً؛ فينبغي الحرص على الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة والاجتهاد في ذلك، فقد يعتق الله بدعائه كثيراً من أهل البلاء والمحنة في البرزخ أو في الآخرة،

قال تعالى: {مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا} [النساء:٨٥]، والشفاعة الحسنة تشمل الشفاعة للناس في قضاء حوائجهم، والدعاء لهم بخيري الدنيا والآخرة... وغير ذلك، فمَن شفع لينفع؛ كان له نصيب من الأجر، ومَن دعا لأخيه بظهر الغيب أمَّن الملك على دعائه، وقال: "ولك بمثل"

(تفسير القرطبي:٥/٢٩٥)

السبب العاشر: إهداء القربـــات:

دلَّت النصوص الشرعية على أن الجزاء ثواباً أو عقاباً إنما يترتَّب على عمل الإنسان، وعلى ما هو من آثار عمله، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس:١٢]، أي نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي آثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

(تفسير ابن كثير: ٣/٥٦٥)

- وأخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"مَن سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة، فعمل بها مَن بعده، كُتِبَ له مثل أجر مَن عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومَن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً، فعمل بها مَن بعده؛ كُتِبَ عليه وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء"

- وفي رواية عن مسلم أيضا بلفظ:

"مَن دعا إلى هدى؛ كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً".

- ويدل أيضاً على انتفاع الميت بما خلَّفه من آثار حسنة

ما أخرجه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"إذا مات الإنسانُ انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"

- وجاءت النصوص الشرعية كذلك لتُوضِّح أن الإنسان ينتفع بعمل غيره

ومن هذه النصوص ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

"إن سعد بن عبادة ﷺ تُوفِّيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إن أمي تُوفِّيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدَّقتُ به عنها؟ قال: نعم، قال: فإني أُشْهِدُكَ أن حائطي المخراف [١] صدقة عليها"

---

(١) المخراف: المكان المثمر، والحائط: يعني البستان.

- وثبت في "صحيح البخاري" أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه:
"أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرتْ أن تحجَّ فلم تحج حتى ماتت، أفأحجُّ عنها؟ قال: نعم، حجّي عنها، أرأيتِ لو كان على أمك دَيْن، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء"
- قال الحافظ ابن حجر رحمة الله في "فتح الباري"(٤/٦٦):
"ويلتحق بالحجِّ كل حقٍ ثبت في ذمته: من كفارة أو نذر أو زكاة... أو غير ذلك". اهـــــ

- ويدل كذلك قول النبي ﷺ الثابت في "صحيح مسلم":
"مَن مات وعليه صيام؛ صام عنه وليُّهُ"، على أن الميت ينتفع بعمل الأحياء.

- وثبت أيضاً في "صحيح مسلم" عن بريدة ﷺ قال: "بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ، إذ أتته امرأة، فقالت: إني تصدَّقْتُ علي أمي بجارية، وإنها ماتت، فقال النبي ﷺ: وجب أجرك، وردَّها عليك الميراث، قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صومُ شهرٍ، فأصوم عنها؟ قال: صومي عنها، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: حجِّي عنها"

- وكذلك الدَّيْن علي الميت، فقد دلَّ الشرع علي إسقاطه من ذمته إذا قضيت عنه
فقد أخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال:
"إن النبي ﷺ أتى بجنازة ليُصلِّي عليها، فقال: هل عليه دَيْن؟ قالوا: لا. فصلَّى عليه، ثم أُتِيَ بجنازة أخرى، فقال: هل عليه من دَيْن؟ قالوا: نعم، قال: صَلُّوا على صاحبكم، قال أبو قتادة: عليَّ دينه يا رسول الله، فصَلَّى عليه"

- وقد أجمع المسلمون على أن: قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي أو من غير تركته، وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حقٌّ من الحقوق فأحلّه منه أنه ينفعه ويبرأ منه كما يسقط من ذمة الحي"
(الروح لابن القيم ρ: صــــــ١٦٥)

- ومن كل ما سبق يتبيَّن: أن النصوص الشرعية دلَّت على جواز إهداء القربات في الجملة.
(موانع إنفاذ الوعيد: صــــــ١١٧)
- والميت ينتفع بكل ما يُهدَى إليه من قربات، عدا القربات التي يتعيَّن عليه فعلها، كالإيمان والتوبة والصلاة... وغير ذلك.
(انظر شرح العقيدة الطحاوية: صــ٣٢٧، وانظر الإيمان باليوم الآخر صــ٢١٨، للدكتور علي محمد الصلابي -حفظه الله-)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فـادعُ لي بـالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا　　　جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.........

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك